السحر الأسود بين الحقيقة والخيال

الفصل التاسع (26 صفحة)

من كتاب

الجن ... ما نتوهمه لهم وما يمكن استنتاجه عنهم

(2011 – رقم:10)

عمر "محمد فؤاد" أبو الرُّب

المراجع في هذا الفصل موجودة في صفحة المراجع في الكتاب الأصل

جميع الحقوق محفوظة

الفصل التاسع – السحر الأسود بين الحقيقة والخيال

في هذا الفصل سنتحدث عن موضوع السحر الأسود واتهام اليهود لسيدنا سليمان عليه السلام أنه مصدر هذا السحر. وينقسم هذا الفصل إلى العناوين التالية:

نبذة عن تاريخ السحر.
تفسير آية "وما كفر سليمان".
متافيزيقيا الجماعة والسحر

■ نبذة عن تاريخ السحر

السحر هي لفظة عربية تم استخدامها لوصف وقائع مختلفة:

"وأَصل السِّحْرِ صَرْفُ الشيء عن حقيقته إِلى غيره فكأَنَّ الساحر لما أَرَى الباطلَ في صورة الحق وخَيَّلَ الشيءَ على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه أَي صرفه" (المرجع: لسان العرب).

وكذلك فإن أحد معاني السحر هو الخديعة (المرجع: لسان العرب). وهذا هو أحد التفاسير المعتمدة في تفسير قول اللّه تعالى: "قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ" (153 – الشعراء).

وفي الحقيقة فإن هناك وصفاً في لسان العرب لابن منظور يستحق النظر فيه:

"وسَحَرَه بالطعامِ والشراب يَسْحَرُه سَحْراً وسَحَّرَه: غذَّاه وعلَّلَه، وقيل: خَدَعَه.والسِّحْرُ الغِ ذاءُ؛ قال امرؤ القيس:

أُرانا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْب – ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ

عَصافِيرٌ وذِبَّانٌ ودُودٌ – وأَجْرَأُ مِنْ مُجَلِّحَةِ الذِّئَابِ

أَي نُغَذَّى أَو نُخْدَعْ. قال ابن بري: وقوله مُوضِعين أَي مسرعين، وقوله: لأَمْ رِ غَيْ بٍ يريد الموت وأَنه قد غُيِّبَ عنا وَقْتُه ونحن نُلْهَى عنه بالطعام والشراب.والسِّحْرُ الخديعة؛ وقول لبيد: فَإِنْ تَسْأَلِينَا: فِيمَ نحْنُ؟ فإِنَّنا عَصافيرُ من هذا الأَنَامِ المُسَحَّرِ، يكون على الوجهين.وقوله تعالى: إِنما أَنتَ من المُسَحَّرِين؛ يكون من التغذية والخديعة" (لسان العرب).

وهناك وصف في تفسير الطبري في تفسير آية "وما كفر سليمان" في سورة البقرة:

"قال أبو جعفر: واختلف في معنى السحر، فقال بعضهم: هو خدع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر، حتى يخيل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء، ويرى الشيء من بعيد فيثبته. بخلاف ما هو على حقيقته. وكراكب السفينة

السائرة سيرا حثيثا يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه. قالوا: فكذلك المسحور ذلك صفته: يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته" (تفسير الطبري).

وكذلك فإن السحر يوصف للبيان والبلاغة (المرجع: لسان العرب). وقد قال رسول اللَّه عليه السلام: "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْمًا" (رواه أحمد). وقد ذكر ابن عبد البر (فقيه أندلسي مشهور توفي عام 463 هجرية) في كتابه (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد):

""وروي أن سائلا سأل عمر بن عبد العزيز حاجة بكلام أعجبه فقال عمر : هذا والله السحر الحلال ، وقال ابن الرومي عفا الله عنه في هذا المعنى فأحسن:

وحديثها السحر الحلال لو أنها – لم تجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت – ود المحدث أنها لم توجز
شرك العقول ونزهة ما مثلها – للسامعين وعقلة المستوفز

ومن هذا ما أنشدني يوسف بن هارون في قصيدة له:
نطقت بسحر بعدها غير أنه – من السحر ما لم يختلف في حلاله
كذاك ابن سيرين بنفثة يوسف – تكلم في الرؤيا بمثل مقاله"
(كتاب التمهيد).

وكذلك فإن أحد معاني الساحر هو العالِم (المرجع: لسان العرب)، وبالطبع لا تُطلق هذه التسمية على علماء الدين ولكن من الممكن إطلاقها على علماء الدنيا وأصحاب الفنون المختلفة، وهذا أحد التفاسير لقول اللَّه تعالى: "وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (48) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ" (49 – الزخرف).

وفي تفسير الطبري: "إن قال لنا قائل: وما وجه قيلهم يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك، وكيف سموه ساحرا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب؟ قيل: إن الساحر كان عندهم معناه: العالم، ولم يكن السحر عندهم ذما، وإنما دعوه بهذا الاسم، لأن معناه عندهم كان: يا أيها العالم".

ومن أحد التعبيرات المستخدمة الآن في وصف الشخص المتقن تماما لفنه والمتفوق على أقرانه (كأحد لاعبي كرة القدم مثلا) أنه ساحر.

وكذلك من التعابير الدارجة الآن (وغير المنتقدة): سحر الشخصية، وسحر البيان, وسحر البلاغة.

الآن ..... من الواضح تماما أن ربط لفظة سحر إلى الشخصية والبيان والبلاغة هي مجاز وتشبيه كربط شجاعة الرجل بالأسد عندما نقول: كان زيد أسداً في المعركة.

وأما المفهوم العام لمصطلح السحر مفردة فهو القدرة على إيهام المشاهد أو المستمع وإخراجه من الحقيقة إلى الخيال.

ويمكن تقسيم السحر (بمفهومها العام) إلى ثلاثة أنواع:

♦ خفة اليد:

وهذا النوع من السحر يتعلق بخفة اليد (Sleight of hand)، والخدع البصرية والميكانيكية. وهذا ما يتم تسميته في الغرب بـ . Stage Magic، وهذا النوع من العمل يهدف إلى الترفيه وتسلية الحضور (Entertainment). ولكن من الضروري التنبيه أن هذا الفن قد استخدمه البعض لإيهام الآخرين أنهم ذوو كرامات، أو لإثبات ادعائهم بالنبوة، وقد استخدمه مسيلمة الكذاب لإغواء قومه، واستخدمه الحلاج في العراق لإثبات ألوهيته، وحديثا استخدمه داهش في لبنان لإثبات نبوته (وهذا الموضوع تم التعرض له بتفصيل في فصل سابق).

وتسمية هذا الفن بخفة اليد مناسبة للتعبير عن هذا النوع من السحر وذلك لأنه من المقبول تسمية الشيء بأهم عنصر فيه.

وخفة اليد هي أحد أقدم الفنون في تاريخ البشرية. وأول كتاب يذكر خفة اليد هي أوراق البردى المصرية "ويستكار" (Westcar Papyrus)، وهو كتاب تم اكتشافه في مصر عام 1823. وهناك من أرجع هذا الكتاب إلى حوالي عام 1700 ق.م ولكن القصص في هذا الكتاب ترجع إلى عهد الفرعون خوفو (حوالي 2570 ق.م). وفي الكتاب يوجد ذكر لساحر اسمه ديدي (Dedi) من عامة الناس قام بقطع رأس أوزة ثم أحياها.

وبالطبع فإن ما سبق هو خدعة بالتأكيد، فحتى أقوى شياطين الإنس والجن لا يستطيع أن يُعيد الحياة لميت، والوحيد الذي أرجع الحياة للموتى (حسب النظرة الإسلامية) هو عيسى عليه السلام.

وأما أقدم خدعة ما زالت تُمارس حتى الآن فهي خدعة الأكواب والكُرات (Cups and Balls)، ومن المؤكد أن هذه الخدعة كانت دارجة في العهد الروماني، ولكن الظاهر أن هذه

الخدعة أقدم من عهد الرومان بكثير. والنقطة العجيبة أن هذه الخدعة هي في غاية البساطة (ضع في مولدات البحث أو اليوتيوب عبارة: Cups and Balls Trick Revealed).

وأول خدعة (خفة يد) تعرض لها المؤلف فَهي خدعة انفصال الأصبع (Moving cut off finger trick)، وقد كان المؤلف في الخامسة من العمر وقام صديق لوالده بعمل هذه الخدعة له، ويذكر المؤلف تماما انبهاره بهذه الخدعة (وقتها).

وغلبة الظن عند المؤلف أن سحرة فرعون في قول اللَّه تعالى: "قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى" (66 – طه)، كانوا يستخدمون خفة اليد.

والسبب أنه من المستبعد تماما أن يكون سحرة فرعون قد استخدموا السحر الأسود ووجهوا الشياطين إلى جسد ودماغ موسى كي يسحروا عينه، وإنما ألقى السحرة الحبال والعصي وكانت هناك خدعة جعلت موسى عليه السلام يتخيل أنها تسعى. ويوجد الآن الكثير من خفيفي اليد في المسارح من هو قادر على خداع وإبهار الجمهور بمن فيهم شديدي الملاحظة وبشكل مُتقن جدا.

انتبه الآن ..... خفة اليد ليس فيها أمر خارج عن المنطق وليس فيها قوة غير مباشرة، وإنما خفة اليد تعتمد على قوانين ميكانيكية وبصرية واضحة، وكل ما يفعله "خفيف اليد" أنه يقوم بخداع أبصارنا وحواسنا. ولهذا السبب فمن الناحية اللغوية فإن خفة اليد هي نوع من السحر، ولكن من الناحية الأكاديمية فإن خفة اليد ليست من السحر وإنما السحر هو فقط السحر البدائي والسحر الأسود التالي ذِكرهما.

السؤال الآن ..... هل خفة اليد حلال أم حرام؟؟؟؟

إذا كان في خفة اليد كفر أو فسق أو ظلم أو كذب فهي بالتأكيد عمل شديد الإثم، مثال ذلك إذا تم استخدام خفة اليد لإيهام الناس بأن الشخص صاحب كرامات، أو أنه ذو قدرات غير طبيعة، أو أنه متصل بالملائكة والجن، إلخ.

وأما إذا تم استخدام خفة اليد ضمن خدعة حربية فهي بالتأكيد جائزة لقول الرسول عليه السلام: الحرب خدعة (رواه البخاري). وهناك قصة عن موسى بن نصير عندما حاصر إحدى المدن في الأندلس: فقد جاءته الرسل من المدينة المحاصرة وكانت لحيته بيضاء من الشيب. وتحدثوا ولم يتفقوا وأرجؤوا الحديث لليوم التالي. وفي اليوم التالي كان موسى قد خضب لحيته شقراء (ولم يكن أهل الأندلس يعلمون الخضاب) وجاء الرسل وتعجبوا مما حدث لموسى

ولكنهم لم يُعلِّقوا بشيء، وتحدثوا ولم يتفقوا وأرجؤوا الحديث لليوم التالي. وفي اليوم التالي كان موسى قد خضب لحيته بالسواد، وهنا ارتعب الرسل مما رأوه أمامهم وقد ظنوا أن العرب يرجعون شبابا بعد أن هرموا، وكان هذا أحد الأسباب التي سارعت في استسلامهم.

وإذا كانت خفة اليد دعابة وترفيهاً دون كذب أو ادعاء فتخمين المؤلف أنها لا بأس فيها، ولكن لا يوجد عند المؤلف الدليل الصريح على هذا الادعاء.

♦ السحر البِدائي

قام المؤلف بتسمية هذا النوع من السحر بالبدائي وذلك لأن هذا السحر موجود في معظ م الحضارات البشرية ومنذ القدم، فقد كان موجوداً في عهد الـ سومريين والم صريين القـ دماء والكنعانيين واليونانيين والرومان، وهو موجود الآن عند الأوروبيين والأمريكيين والتجمع ات البدائية في أمريكا الجنوبية والقبائل البدائية الأفريقية. ومعظم هذا السحر خزعبلات وتهيؤات. وهذا السحر ينقسم إلى التالي:

- استحضار أرواح الموتى (Necromancy) والتحدث إليهم وسؤالهم عن المستقبل.
- صناعة التمائم والتعويذات (Amulets) للحماية من الأرواح الشريرة.
- طقوس معرفة المستقبل. وهذه النقطة قد أطلق الإنسان فيها خياله، وكل حضارة كـ ان لها طقوس معينة لمعرفة المستقبل. وهناك حضارات قد قرأت المستقبل عـ ن طريـ ق التنجـ يم (Astrology)، وقـ راءة الكـ ف (Palmistry)، ورمـ ي الأحجـ ار والعظـ ام (Cleromancy)، وقراءة الطالع (Horoscopy)، إلخ. وأحدث أساليب معرفة المـ ستقبل وقد انتشر فترة في البلاد العربية قبل حوالي 20 سنة وهي تقليد قد انتهى الآن ولم يعد له ذكر وهو قراءة الفنجان!!!!.

- ترديـ . .د التـ . .رانيم المختلفـ . .ة والطقـ . .وس لأرواح المـ . .وتى والآلهـ . .ة (Enchantments, bewitchments, spells, charms) وذلك لكسب رضاهم وإلحاق اللعنة على أعدائهم (Sorcery). وقد كان المصريون القدماء يقومون بكتابة أسماء أعـ دائهم، ونقش رسوم لهؤلاء الأعداء على الفخار ثم يحرقوها ويدفنوها. وكان هذا نوعـ ا مـ ن طقوس إلحاق اللعنة على الأعداء (المرجع: Pinch). وكل حضارة كانت لها طريقتهـ ا وطقوسها في كسب رضا آلهتهم وإلحاق اللعنة على أعدائهم.

وقد تم توثيق مؤامرة حدثت ضد الفرعون رمسيس الثالث (Ramses III) حـ والي عـ ام 1100 قبل الميلاد، واستخدم في المؤامرة السحر لمحاولة قتله. ومما تم ذكره هو استخدام

صور (Images) للفرعون من الشمع لتحقيق هذا السحر (المرجع: BBC-Magic، وكذلك ضع في مولدات البحث عبارة: Poppet Ramses III).

وفي بدايات القرن الرابع قبل الميلاد انتشرت في اليونان (وربما بتأثير من الحضارة المصرية) سحر التماثيل (Poppet, Doll Magic) وكان يُسمى كولوسوي (Kolossoi). وكان هدف هذا السحر وبشكل أساسي التقييد (بما فيها تقييد آلهة اليونان نفسها) ولكن لا يوجد ما يمنع لاستخدامه من أجل إلحاق اللعنة. وفي هذا السحر يقوم الساحر بعمل تمثال للشخص المستهدف إما من حبال أو خشب أو فخار أو شمع، إلخ. ثم يتم غرز الدبابيس فيه مع ذكر الترانيم (Spells) المتعلقة بهدف هذا السحر. ومن اليونان الوثنية انتشرت عادة غرز الدبابيس في التماثيل كأحد أنواع السحر إلى أوروبا.

- الطرق المستخدمة في التواصل مع الأرواح كانت من خلال الهلوسة. ويبدو أن هذا هو بداية الرابط بين الكيمياء والشعوذة. فقد كان المشعوذون التقليديون (الأطباء الروحانيون) متفننين في تحضير الوصفات الكيميائية (Drugs) من أجل جلسات تحضير الأرواح. وكذلك فقد استخدمت الكيمياء لمعرفة المستقبل (Witchcraft). والظاهر أن هذه الصفة (ارتباط الكيمياء بالشعوذة) متجذرة في الثقافة الأوروبية، وإذا انتبه القارئ لدور الساحرات (Witches) في الأفلام الكوميدية والكرتونية الغربية فإنهن يَكُنَّ عجائز لابسات طرابيش سود طويلة، ويقمن بخلط (كمثال) قدم ضفدع مع دم دجاجة مع قليل من ريش غراب أسود وذلك لتحضير السحر أو لمعرفة المستقبل.

وأحد أقدم النصوص في تحريم السحر البدائي هو نص موجود في التوراة في سفر التثنية Deuteronomy – (المرجع والترجمة: Biblegateway):

[9] When you enter the land the LORD your God is giving you, do not learn to imitate the detestable ways of the nations there. [10] Let no one be found among you who sacrifices their son or daughter in the fire, who practices divination or sorcery, interprets omens, engages in witchcraft, [11] or casts spells, or who is a medium or spiritist or who consults the dead. [12] Anyone who does these things is detestable to the LORD; because of these same detestable practices the LORD your God will drive out those nations before you. [13] You must be blameless before the LORD your God. [14] The nations you will dispossess listen to those who practice sorcery or divination. But as for you, the LORD your God has not permitted you to do so.

9» وَمَتَى أَتَيتُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي سَيُعطِيها إِلَهُكُمْ لَكُمْ، لا تُقَلِّدُوا المُمارَساتِ الشِّرِّيرَةِ الَّتِي تُمارِسُها تِلكَ الأُمَمُ. 10 لا تُقَدِّمُوا أَبْناءَكُمْ وَبَناتِكُمْ فِي النّارِ عَلَى مَذابِحِكُمْ. وَلا تَسمَحُوا لِأَحَدٍ بِمُمارَسَةِ العِرافَةِ أَوِ الوَساطَةِ الرُّوحِيَّةِ، أَوِ النَّظَرِ إِلَى العَلاماتِ لِلإِخبارِ بِالغَيبِ. لا تَسمَحُوا لِأَحَدٍ باستَخدامِ السِّحرِ، 11 أَوْ بِالسَّيطَرَةِ عَلَى الآخَرِينَ باستِخدامِهِ. لا تَسمَحُوا لِأَحَدٍ باستِشارَةِ الأَشباحِ وَالأَرواحِ، أَوْ بِمُحاوَلَةِ الاتِّصالِ بِالمَوتَى. 12 لِأَنَّ كُلَّ

مَنْ يَفعَلُ هَذا مَمقُوتٌ عِندَ اللهِ. وَبِسَبَبِ هَذِهِ المُمارَساتِ الشِّرِّيرَةِ وَالكَرِيهَةِ، فَإِنَّ إِلَهَكُمْ سَيَطرُدُ تِلكَ الأُمَمَ مِنَ الأَرْضِ. 13 فَكُونُوا أُمَناءَ لإِلَهِكُمْ بِالكامِلِ. 14 هَذِهِ الأُمَمُ الَّتِي سَتَطرُدُونَها تَستَمِعُ إِلَى العَرّافِينَ وَالمُشَعْوِذِينَ، أَمّا أَنْتُمْ، فَلا يَسْمَحُ لَكُمْ إِلَهَكُمْ بِذَلِكَ.

الآن .... غلبة تخمين المؤلف أن السحر البدائي كان خزعبلات وتهيؤات وما زال خزعبلات وتهيؤات. ولكن بعد ظهور السحر الأسود في القرن الأول الميلادي (كما سيتم تبيانه لاحقا) فإنه تم خلط بعض الأساليب في السحر البدائي وبالأخص في مجال الـ . Sorcery في عمليات السحر الأسود. فالنفث في العقد وغرز الدبابيس أصولها هي من السحر البدائي ولكن أصبح يتم استخدامها في السحر الأسود.

♦ **السحر الأسود (Black Magic)**

معظم الحضارات السابقة كانت تؤمن بوجود أرواح طيبة وأرواح شريرة، ومعظم هذه الحضارات كانت لهم طقوسهم في كسب هذه الأرواح إلى جانبهم ودعوة هذه الأرواح إلى إلحاق اللعنة على أعدائهم.

ولكن فكرة قيام الشياطين (الأرواح الشريرة) بتلبس إنسان والتحدث بلسانه، وفكرة السيطرة على هذه الشياطين واستخدامهم لإلحاق الأذى بالآخرين هي أفكار ومفاهيم حديثة في الحضارة البشرية. وغلبة تخمين المؤلف (كما سيتم نقاشه لاحقا) أن هذه الأفكار قد ظهرت بين عامي 25 ق.م إلى 40 ميلادية. وكما تم تبيانه في فصل النبذة التاريخية فإن أول من لمح لهذه الأفكار كان جوزيفوس عام 94 ميلادية في كتابه تاريخ اليهود.

وقد ذكر جوزيفوس أن سليمان بن داود (عليهما السلام) قد ألف كتابات عن كيفية إخراج الديمونز (كلمة يونانية تعني الأرواح الشريرة) من جسد الإنسان، ولكن جوزيفوس لم يذكر أي اسم لهذه الكتابات.

وأول كتاب ظهر بين الناس في كيفية التعامل مع الديمونز كان كتاب "شهادة سليمان" (Testament of Solomon)، ويدعي كاتبه أنه هو سليمان بن داود، ويدعي أنه سيطر على الديمونز واستخدمهم في بناء الهيكل. وفي هذا الكتاب نصائح في كيفية إخراج الديمونز من أجسام الناس. ويغلب على ظن الكثير من المؤرخين أن هذا الكتاب هو الذي تعرض له جوزيفوس.

وأما أول كتاب ظهر بين الناس في السحر الأسود فهو كتاب "مفاتيح سليمان" (Keys of Solomon) وفيه يدعي كاتبه أنه كذلك سليمان بن داود وأنه سيطر على الديمونز، وأنه استخدم

الديمونز في بناء الهيكل. وأخذ يضع في الكتاب أسماء الديمونز وكيفية السيطرة عليهم واستخدامهم.

وظهرت بعدها كتب أخرى مختلفة في السحر الأسود بعضها منسوب كذلك إلى سليمان عليه السلام.

■ **تفسير آية "وما كفر سليمان":**

قال اللَّه تعالى: "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (102 – البقرة).

هناك تفسير انتشر بين الناس أن هاروت وماروت هما من الملائكة الذين نزلا إلى الأرض وعلما الناس (ظلما) مفاهيم السحر الأسود، ولكن لا يوجد أي دليل غيبي ثابت السند يؤيد هذا التفسير. وهذا التفسير يعتمد أن "ما" في قوله تعالى "وما أنزل على الملكين" هي ما الواصلة.

ولكن وجهة نظر القرطبي أن "ما" هي ما النافية، وقد أورد الطبري وابن كثير هذا الرأي في تفسيرهما. والتفسير هو أن "ما" معطوفة على "وما كفر سليمان" ويكون تفسير الآية كالتالي:

وما كفر سليمان، وما أُنزل على الملكين، وإنما الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت.

وليس واضحا تماما الحكمة من تأخير "وما أنزل على الملكين". وربما (على تخمين المؤلف) أن تأخير هذا الجزء هو أكثر بلاغة، أي أن النص: "وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا" هو أكثر بلاغة.

وضمن تفسير القرطبي والطبري وغيرهم فإن الملكين هما جبريل وميكائيل حيث إن اليهود قد ادعوا أن جبريل وميكائيل هما من أنزلا السحر. وهذا التفسير مناسب حيث إن الآية 98 في نفس السورة تقول: "مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98 – البقرة).

الآن .... التفسير يقول إن الشياطين يُعَلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. فالناس (وهي جمع) جاءت لوصف اثنين. فهل يوجد هنا تناقض؟؟

لا يوجد تناقض، فقد قال اللَّه تعالى: "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا" (54 – النساء). وأحد التفاسير المعتمدة أن الناس هنا هو الرسول عليه السلام، ومن الممكن جدا أن يكون المقصود هو الرسول عليه السلام ثم أتباعه.

وكذلك قال اللَّه تعالى: "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" (173 – آل عمران). وهناك خلاف في التفاسير عن الناس الذين قالوا، وهناك من يجعل الناس فردا واحدا وهناك من يجعل الناس مجموعة.

والنظرة هنا أن كلمة الناس يمكن أن تدل على فرد أو اثنين أو مجموعة. وبنظرة شاملة فإن الشياطين عندما يعلمون اثنين من البشر فهم في النهاية يُعلمون البشر.

"وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ":

وهنا يأتي سؤال ..... لماذا يهتم هاروت وماروت بتحذير تلاميذهم من تعلم السحر؟ ألا يبدو هذا غير منطقي؟؟؟؟

والجواب أن هذا منطقي وفي حقيقة الأمر فنحن الآن نفعل مِثْله وبشكل غريزي:

فعندما تذهب لتعلم فن الكاراتيه فإنه قبل أن تبدأ بحضور الدورة تقوم بالتوقيع على تعهد أن المدرب غير مسئول عن أية أضرار قد تحدث لك أثناء الدورة. وعندما تذهب إلى مواقف السيارات في الفنادق فأنت تجد يافطة طويلة عريضة تطلب من صاحب السيارة أخذ حاجياته الثمينة من السيارة وأن الفندق غير مسؤول عن أي مفقودات قد تحدث.

بل حتى في القصص والأفلام الدرامية الخيالية فإنك تجد مثل هذه التحذيرات، وكان أجملها ما حدث في فِلم الميتريكس (Matrix I) عندما جاء مورفيس (Morpheus) لإخراج نيو (Neo) من الميتريكس وقال له (بتصرف ومعنى): بعد هذه اللحظة لا يوجد عودة إلى الوراء، وأنت الآن مُخير بين أمرين: إما أن تأخذ الحبة الزرقاء وتستيقظ في فراشك وتمضي في حياتك وكأن شيئا لم يحدث، وإما أن تأخذ الحبة الحمراء وتنظر إلى عالم لم تره عينك من قبل.

وهنا النقطة .... هاروت وماروت اكتشفوا أمرا لم يكن من قبل، وهو أمر ليس مؤثراً فقط على حياة الآخرين، وإنما هو مؤثر على من يتعلمه. ومن الطبيعي أن يقول الأستاذ للتلميذ عند

دراسته أمرا خطيرا كهذا أنه (الأستاذ) غير مسؤول أبدا عن أية أضرار قد تحدث للتلميذ جراء دراسته لهذا الأمر.

وهنا نقطة ثانية يجب الانتباه لها ..... بغض النظر إذا نجح السحر الأسود في الإيذاء أو لم ينجح فإن السحر الأسود هو فتنة ولعنة على من يستخدمها، لأن من ضروريات هذا السحر هو القيام بأعمال كفرية، وهذه الأعمال نهايتها وخيمة في الدنيا قبل الآخرة، ويؤيد هذا قوله تعالى في نفس الآية: "وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ".

متى قام هاروت وماروت بتعليم الناس السحر الأسود؟؟؟

كما تم تبيانه من قبل فإن أول كتاب في موضوع الديمونز وعلاقة سليمان عليه السلام به هو كتاب "شهادة سليمان" والذي ظهر في أيدى الناس في أواخر القرن الأول الميلادي. كما أن أول ذكر لموضوع تلبس الشياطين بالإنسان هو كتاب "تاريخ اليهود" (Jewish Antiquities) لجوزيفوس (Josephus) حوالي عام 94 ميلادية. وكما سبق ذكره فإن جوزيفوس قد ذكر شخصا يهوديا اسمه إليزر (Eleazar) كان قادرا على إخراج الديمونز من أجساد الناس وأنه قَدَّمَ عرضا على ذلك أمام الامبراطور الروماني فيزباسيان (Vespasian).

وفيزباسيان حكم الرومان من 69 إلى 79 ميلادية. وبالتالي نستطيع أن نقول أن عرض إخراج الديمونز أمامه كان في حوالي عام 75 ميلادية.

الآن ..... لنفترض أن هاروت وماروت قد بدأوا يُعلمون الناس كيفية التعامل مع الديمونز في نقطة من الزمن، فمتى يجب أن يشعر المثقفون من الناس بأمر هذا العلم؟؟؟

نستطيع أن نضع تخمينا افتراضيا ابتدائيا ونقول إنه إذا بدأ هاروت يُعلم الناس الآن فيجب أن يشعر المثقفون بأمر تعاليمه خلال أربعين إلى مائة سنة.

الآن ..... إذا قلنا أن أول من ذكر أمر الديمونز هو جوزيفوس وأنه اطلع على كتابات تعود لسليمان بن داود (عليهما السلام)، وأن جوزيفوس قد انتبه لهذا الأمر حوالي 75 ميلادية فعندها نستطيع أن نقول إن هاروت قد بدأ يعلم الناس في فترة تقع بين 25 ق.م إلى 35 ميلادية.

كيف استطاعت الشياطين تعليم هاروت وماروت السحر الأسود؟؟

وهذا جوابه سهل وفيه مِثال حي:

في عام 1581 ميلادية قامت علاقة روحانية!!!! بين جون دي (John Dee) وإدوارد كيلي (Edward Kelley)، وفيها كان أحدهم يتلقى من الملائكة (حسب ادعائهم) والآخر يكتب عنه.

والظاهر أن أحدهم (جون) كان يغيب عن الوعي ويبدأ بالتمتمة والحديث ويقوم الآخر بتسجيل ما يتلفظه. وقد ادعيا أن ما حصلا عليه إنما هو لغة الملائكة في الجنة وقاما بتسميتها اللغة الإدريسية (Enochian Language)، حيث إن النظرة اليهودية والمسيحية أن إدريس عليه السلام (Enoch) هو حي يُرزق في الجنة.

ولكن قصة جون مع إدوارد قد أخذت مَنحى دراماتيكياً، إذ في عام 1587 ادعى كيلي لجون أن الملائكة قد أمرتهما أن يتشاركا في زوجتيهما!!!!! وقد أذعن جون لهذا الأمر. ولكن يبدو أن تداعيات هذا الأمر قد قصمت العلاقة بينهما وكل منهما ذَهَبَ في طريقه.

الآن .... من الممكن أن نقول أن ما حدث مع جون وكيلي هو كذلك ما حدث مع هاروت وماروت (ولكن ربما ليس بنفس النهاية الدراماتيكية).

وإن أسرار العقل ما زالت غامضة، وهناك ظواهر تحدث لبعض الناس تكون في غاية العجب، وقبل يومين فقط من كتابة هذه السطور سمع المؤلف من شاهد عيان عن شخص مُعاق عقليا ولكن كانت لديه القدرة على ضرب أعداد كبيرة بأعداد كبيرة تعجز الآلة الحاسبة عن حسابها، وكان هذا الشاهد يضطر إلى استخدام الآلة الحاسبة على مراحل للتأكد من جواب ذاك الشخص.

وقد شاهد المؤلف بنفسه شخصا ذا إعاقة عقلية ولكن هذا الشخص كانت له القدرة أن يُسأل عن أي تاريخ ميلاد ويعطيك مباشرة اليوم الذي تمت فيه الولادة (أي تعطيه تاريخ الميلاد ويقول لك مباشرة أن يوم الولادة كان الثلاثاء).

إن أسرار العقل ما زالت غامضة، وهناك أشخاص لهم قدرات غير طبيعية، ومن غير المستبعد أن أحد الثنائي (هاروت وماروت) كانت عنده قدرة ما في التخاطب مع الشياطين كما حدث مع جون وكيلي.

ما هو الاسم الأصلي لهاروت وماروت؟؟

هناك أربعة أنواع من الأسماء في اللغة العربية:

- أسماء أصلية.
- أسماء مُستعربة.

- أسماء رمزية.
- أسماء مُؤقتة.

الآن ..... العرب لا يأخذون الاسم الاصلي الأجنبي وإنما يقومون بتعريب الاسم بما يُوافق اللسان العربي، فالاسم الأصلي للامبراطور الروماني وقت الفتوحات الاسلامية هو "إركْليس"، وتم تحوير الاسم من اليوناني (وهي اللغة الدارجة في العهد البيزنطي) إلى الإنجليزية بـ . . "هيركوليس". ولكن الاسم المُعَرَّب عندنا هو "هرقل". والعاصمة البيزنطية هي "كوستانتينوبل" ولكن الاسم المعرب عندنا هو "القسطنطينية".

الآن ...

يوسف هو الاسم المُعرب وأصله جوزف.
وموسى هو الاسم المعرب وأصله موشي.
ويعقوب هو الاسم المعرب وأصله جيكوب.

ولكن يوسف جاءت معبرة تماما عن جوزف، وموسى جاءت معبرة تماما عن موشي، ويعقوب جاءت معبرة تماما عن جيكوب.

وهناك أسماء أخرى ليست موجودة في القرآن ولكن المؤلف استخدمها كثيرا وهي الأسماء المُؤقتة فمثلا يكون هناك قصة تتضمن شخصين مجهولين فنقول: لنفترض أن اسم الأول هو زيد والآخر جرير. وهذه ليست أسماء أصلية ولا معربة وإنما مُؤقتة لتسهيل سرد القصة.

وهناك أسماء رمزية. فمثلا من الممكن أن تجد الاسم أ.س وهذا الاسم ربما يرمز إلى أحمد سعيد.

ويبدو أن القرآن استخدم أسماء رمزية فطالوت اسمه الأصلي شاؤول، وجالوت اسمه الأصلي هو جوليات. والأسماء فيها شبه ولكنها ليست معبرة تماما عن الاسم.

لماذا استعمال أسماء رمزية؟؟

السبب غير واضح تماما عند المؤلف ولكن ربما بسبب أن دور الشخص ليس مهما فجاء الاسم رمزياً.

الآن .... الأسماء الرمزية التي استخدمت في القرآن كانت على نفس الوزن: طالوت، جالوت، هاروت، ماروت. ومن هنا يُمكن الخروج بتخمين للاسم الأصلي لهاروت وماروت وذلك عن طريق المقارنة كالتالي:

إذا كانت طالوت أصلها شاؤول،
وكان جالوت اصلها جوليات،
فماذا يمكن أن يكون أصل هاروت وماروت؟؟؟

وتخمين المؤلف أن هاروت ترمز إلى هيرود (Herod) وهو اسم ملك يهودي في فلسطين مات في عام 4 قبل الميلاد وكان مكروها تماما من اليهود. وربما نستطيع أن نقول إن الاسم انتشر عند اليهود فترة من الزمن (وبالأخص في فترة حكم هيرود) ولكن توقف انتشاره بعد موته.

وأما ماروت فتخمين المؤلف أنه يرمز إلى موردخاي (Mordecai) وهو اسم يهودي بابلي حيث إن مردوخ (Marduk) هو أحد آلهة الكلدانيين، وعندما سبى الكلدانيون (بقيادة بختنصر) اليهود إلى بابل فقد أطلقوا على بعضهم اسم موردخاي (عبد مردوخ). ولصق هذا الاسم عند اليهود إلى يومنا هذا (المرجع: Wiki - Mordecai).

وتخمين المؤلف أن هاروت وماروت (أيا كان اسماهما الأصليان) قد اجتمعا في بابل بين عام 25 ق.م و35 ميلادية وكان لأحدهما قدرة غير طبيعية على التواصل مع عالم آخر ونتج عن ذلك السحر الأسود.

انتبه هنا أن بابل ذلك الوقت كان فيها جالية يهودية مُعتبرة، وقد استقروا فيها منذ أن سباهم الكلدانيون عام 586 ق.م. وبعد سبعين سنة استولى كورش على بابل وتحرر اليهود، وبعضهم رجع إلى فلسطين والبعض الآخر بقي في بابل مكونين مجتمعا داخليا فيها.

تم البيان أن أول الكتب التي ظهرت في موضوع الديمونز هو كتاب شهادة سليمان، وأول كتاب في السحر الاسود هو كتاب مفاتيح سليمان. وفي كليهما يدعي الكاتب أنه هو سليمان بن داود.

والسؤال هنا ... لماذا يقوم أحد بتأليف كتاب والادعاء أن مؤلفه هو سليمان بن داود؟؟؟

الآن .... تعرض محمد بن سلام الجمحي (المتوفي عام 232 هجرية) إلى موضوع تزوير الشعر وذكر أن هناك أشعاراً منسوبة كذبا إلى شعراء العهد الجاهلي.

والسؤال هنا: ما الذي يدفع رجلاً شاعراً جيداً (ولنسمِّه هنا زيدا) بقول أبيات من الشعر ثم ينسبها (مثلا) إلى عنترة؟؟

وأحد الأجوبة على ذلك هو الأهمية، فعندما يقول زيد للناس شِعْراً له فربما لا يهتموا كثيرا بسماعها، ولكن عندما يقول زيد للناس أنه يحفظ قصيدة غير مشهورة لعنترة بن شداد فإن الآذان تكون مطرقة تماما لسماعها.

الآن .... غلبة التخمين أن مؤلف كتاب "مفاتيح سليمان" هما هاروت وماروت (أو على الأقل أحد تلاميذهما الأوائل) وذلك لأن هذا الكتاب هو أول كتاب تم وضعه في السحر الأسود. وباقي الكتب قد أخذت منه.

الآن .... إذا أخبر هاروت الناس أنه يعلم أسراراً خطيرة في السحر فكم شخصا سيهتم بالاستماع إليه؟؟؟

ولكن إذا أخبر هاروت الناس أنه قد حصل على كتاب ألفه سليمان بن داود نفسه، وأن هذا الكتاب يشرح كيف سيطر سليمان على الديمونز وكيف استخدمهم لتحقيق رغباته، فعندها تُصبح هناك أهمية كبيرة جدا لهذا الكتاب، وأهمية كبيرة لمالك هذا الكتاب وللمتفقه في هذا الكتاب.

وهذا (على غلبة تخمين المؤلف) ما حدث، وقام هاروت وماروت بنسبة علوم السحر الأسود إلى سليمان (عليه السلام) وربما هما من قاما بتأليف أول كتاب عن السحر الأسود ونسباه إلى سليمان.

ويبدو أن آخرين قد استمروا في هذا الكذب فقد ظهرت في القرون التالية كتب أخرى في السحر الأسود وبعضها منسوب إلى سليمان بن داود (عليهما السلام) أو متعلق بسليمان.

وهنا سؤال .... لماذا قام هاروت وماروت (وتلاميذهما) بنسبة هذا السحر إلى سليمان عليه السلام وليس غيره؟؟؟

معظم الكتب اليهودية تقوم بنسبة السحر الأسود إلى سليمان، ولكن هناك كتاب يهودي (Sepher Ha-Razim) قديم في السحر الأسود (حوالي 300 ميلادية) ينسب هذا السحر لسيدنا نوح عليه السلام، ولكن سليمان لم يختفِ من الواجهة وإنما ادعاء ذلك الكتاب أن هذا العلم قد انتقل من نوح إلى سليمان بن داود!!!

ولكن الظاهر في العقائد اليهودية أن سليمان بن داود هو مصدر هذا السحر، وغلبة الظن أن من ابتدع هذه الإشاعة هما هاروت وماروت، حيث إن أول ذكر لارتباط الديمونز مع

سليمان كان في كتاب جوزيفوس وكتاب "شهادة سليمان" واللذان ظهرا في أواخر القرن الأول الميلادي.

وأما سبب انتشار هذه الإشاعة عند اليهود وبشكل كبير فهو (على غلبة التخمين) أن سليمان كان أغنى وأقوى وأهم ملك في التاريخ اليهودي، وفي عهده وصلت المملكة اليهودية إلى أوجها، وهو الذي قام ببناء المعبد (الهيكل) الأول. ولكن اليهود لا تعترف بسليمان نبيا وإنما تصفه بـ . سليمان الحكيم. وسليمان متهم عند اليهود بالخروج عن تعاليم الله واتباع الوثنية. ولهذا السبب كان سليمان (عليه السلام) المرشح الأولى لهاروت وماروت (وتلاميذهما) لنسب السحر الأسود إليه.

وهنا من الممكن الخروج بتفسير جديد لقوله تعالى: "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ"، وغلبة ظن المؤلف أن المعنى هو التالي: واتبع اليهود ما ادعته ونسبته الشياطين إلى سليمان.

وعبارة "على ملك سليمان" دقيقة، حيث إن الشياطين لم تَدَّعِ فقط أن مصدر السحر الأسود هو سليمان، وإنما ادعت كذلك أن سليمان قد استخدم هذا السحر في بناء الهيكل الأول وفي بناء المملكة.

انتبه الآن ..... تم ذكر الشياطين مرتين في آية "وما كفر سليمان"، المرة الأولى في قوله تعالي: "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ"، والمرة الثانية في قوله تعالى: "وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ".

وانتبه هنا أن الشيطان لغة هو كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب. وتخمين المؤلف أن الشياطين في العبارة الثانية مختلفون عن الشياطين في العبارة الأولى. فالشياطين في العبارة الثانية ربما يكونوا الجن، وأما الشياطين في العبارة الأولى فهو يشمل كل من ادعى أن مصدر السحر الأسود هو سليمان، وهذا يشمل الجن وهاروت وماروت وجميع تلاميذهما إلى الآن.

يجب هنا التنبيه أننا (نحن المسلمين) نؤمن تماما أن سيدنا سليمان قد حكم الجن والشياطين، ولكن الواضح والظاهر أن جميع الكتب المقدسة عند اليهود لا تتعرض لهذه النقطة، وأن أول كتاب ظهر إلى العلن يتحدث عن سيطرة سيدنا سليمان على الشياطين هو كتاب جوزيفوس.

وانتبه هنا كذلك أن كُتُبَ السحر الأسود لا تتحدث أن سليمان قد حَكَمَ الجن والشياطين بأمر الله وأنها معجزة خاصة لسليمان، وإنما تتحدث أن سليمان حكم الجن بقوة السحر الأسود، وهذا فرق شاسع بين ما نؤمن به (نحن المسلمين) عن سليمان، وما يؤمن به اليهود.

وهنا قد يأتي سؤال .... كيف يُعقل أن يَحكم سيدنا سليمان الجن والشياطين ولا يتم ذكر ذلك في الكتب اليهودية المقدسة؟؟؟؟؟

ولا يوجد جواب عند المؤلف على ذلك، ولكن يجب التنبيه هنا أنه من الضروري جدا أن نكون واضحين وصادقين في النقل والتحليل للأمور، حتى وإن خالف هذا التحليل مُعتقداتنا، فنحن لسنا مسؤولين عن الظاهر. وعندما نقوم بوصف هذا الظاهر فإن علينا أن نصفه بكل الصدق والدقة والأمانة (قدر علمنا واستطاعتنا وجهدنا) وذلك لأن العلم أمانة في عنق الباحث. وأما حقيقة الأمور فهي بيد الله يُظهرها متى شاء (راجع الفصل الخامس عشر والملحق الرابع).

قال اللَّه تعالى: "وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ".

وهنا نأتي إلى الجزئية الأهم في موضوع هذا الفصل:

يوجد في هذه الآية نفي للنفي. والنظرة الجدلية تقول إن نفي النفي هو إثبات. فعندما نقول (بشكل منطقي): هذا اللون ليس (ليس أحمرا) فهذا معناه أن اللون هو أحمر. وعندما نقول لا (لا تذهب) فهذا معناه أن تذهب.

وعندما يقال: هذا الأمر لن يؤذيهم إلا بإذن اللَّه، فهناك احتمال (ضمن النظرة الجدلية) أن هذا الأمر سيؤذيهم. ولكن هذا أقرب إلى الجدلية، أليس كذلك؟؟؟

دعونا نضرب الأمثلة:

جاء مالك جديد إلى شركة تتعرض لمشاكل مالية، وكان هناك تَوَجس عند الموظفين أن المالك الجديد سيقوم بإنهاء خدمات الكثير من الموظفين، ولكن المالك الجديد جمعهم وطَيَّبَ خاطرهم وقال لهم: إن شاء اللَّه ستحافظون على وظائفكم.

لنفترض أن عدد الموظفين هو ألف موظف، ولنفترض أن المالك قد قام بإنهاء خدمات عشرة موظفين فقط. في هذه الحالة فنحن نستطيع أن نقول (ضمن منطق اللغة العام) إنه قد

حافظ على كلمته. ولكن إذا قام المالك بإنهاء خدمات 800 موظف فنحن نستطيع أن نقول وبكل ثقة إنه لم يحافظ على كلمته.

الآن .... من الناحية اللغوية فإن المالك الجديد لم يكذب فقد قال: إن شاء الله ستحافظون على وظائفكم، ولكن ضمن النظرة الواقعية فإن هذه العبارة كانت جدلية وخادعة.

مثال آخر:

لنفترض وجود مَلِك، وأن هذا الملك قد خطب في الناس وقال: لا يوجد أي قانون يتم إقراره في مملكتي إلا بإرادتي وتوقيعي.

الآن .... إذا علمنا أن هذا الملك يقوم بتوقيع جميع الأرواق التي تصل إليه دون تمييز أو تمحيص فإن عبارة الملك (من الناحية اللغوية) هي صحيحة ولكنها (من الناحية الواقعية) هي جدلية عبثية.

هل انتبه القارئ لما أُريد الوصول إليه؟؟؟

دعونا ندخل إلى هذا الموضوع من زاوية مختلفة:

قال اللَّه تعالى: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا" (159 – النساء).

والعبارة تحت الدراسة هي قوله تعالى: "وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ".

الآن .... هناك خلاف في كلمة "موته" لمن تعود، ونظرة المفسرين أن الهاء إما تعود إلى المسيح عليه السلام وإما أن تعود إلى الشخص الذي آمن. وهنا نأتي إلى الاحتمالين التاليين في تفسير الآية:

1. هناك كِتابي (أي من أهل الكتاب) سيؤمن بالمسيح قبل موت المسيح.
2. هناك كتابي سيؤمن بالمسيح قبل موت هذا الكتابي.

الآن .... الاحتمال الثاني غريب حيث أنه لا يوجد إيمان مقبول بعد الموت، وسيعلم الإنسان الحق تماما بمجرد موته. وحيث إن الاحتمال الثاني غريب فإن الترجيح يكون للاحتمال الأول.

دعونا الآن نرجع إلى قول اللَّه تعالى: "وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ":

هناك احتمالان يمكن استنتاجهما من هذه الآية:

1. السحر الأسود لن يضر أحداً إلا عدداً قليلاً جداً من الناس.
2. السحر الأسود يضر معظم المصابين به، ونص الآية بهذا الشكل جاء فقط للتذكير أن كل شيء إنما يكون بأمر الله.

وغلبة الظن عند المؤلف أن الاحتمال الثاني غريب ومُستبعد حيث إن هذا يجعل العبارة أقرب إلى الجدلية. وانتبه هنا أن الباء في قوله تعالي: "وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ" تفيد التأكيد، مثال ذلك قول اللَّه تعالى: "وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا" (132 – النساء).

وهنا جاء الترجيح للاحتمال الأول وهو أن عدداً قليلاً جداً من الناس سيتضرر من سحر هاروت.

وهنا نأتي إلى تعارض:

إن مفهوم الآية يتطلب أن عدداً قليلاً جداً من الناس سيتضرر من السحر الأسود، ولكن إذا كان الأمر كذلك فلا يوجد أي معنى لقيام الناس بدراسة هذا السحر.

بمعنى آخر أنه لو كان السحر الأسود يؤثر في شخص واحد من كل عشرة أشخاص لما حدثت أية دافعية لتلاميذ السحر لدراسته. وهذا يدل (ضمن النظرة المنطقية) أن الذي يتأثر بالسحر نسبة أعلى مما سبق.

وهنا التعارض .... مفهوم الآية يدل أن المتأثر بالسحر عدد قليل جدا من الناس، ولكن منطقية الأمور تدل أن هناك نسبة كبيرة تتأثر به.

والسؤال الآن ..... كيف يمكن توفيق هذا التعارض؟؟؟؟

نستطيع أن نُوَفِّقَ هذا التعارض بالشكل التالي:

من الممكن الافتراض أن السحر يؤثر على نسبة كبيرة من البشر (لنقل 70%). ولكن كما ذكرنا في الفصل الثاني (مبادئ الأنظمة) فإن ميزة الأنظمة الحية عن الأنظمة غير الحية هو

وجود نظام ترميم ذاتي فيها. أي أن الأنظمة الحية تتميز بوجود أنظمة داخية للترميم والصيانة والشفاء.

وعليه فإن الـ . 70% الذين تأثروا بأعراض السحر ستبدأ أجسادهم بالتعامل مع الظرف الطارئ الذي ألم بهم، وسيعالج الجسم نفسه بنفسه، ويبدأ بالشفاء. وربما بعد فترة تزول أعراض السحر عن معظم المصابين به إلا نسبة صغيرة (ربما 5%) والذين تكون أجسامهم غير قادرة (لوحدها) على معالجة السحر (انتبه أن الأرقام هنا تخمينية للمؤلف وبهدف الشرح والتوضيح).

هذا التفسير مناسب جدا للتوفيق بين تأكيد القرآن أن السحر لن يضر أحداً (إلا بإذن الله) وبين النظرة المنطقية التي تقول أنه لو كان السحر غير مؤثر لما تعلمه أحد.

وهذا معناه تشبيه أعراض السحر الأسود بالمرض، وكما يستطيع الجسد أن يتعامل مع المرض فإنه بنفس الأسلوب يستطيع أن يتعامل مع أعراض السحر الأسود. وفي الحقيقة فإن هناك حالات مرضية هي أشد تأثيرا ومضرة على الإنسان من أعراض السحر الأسود.

وربط أعراض السحر الأسود بالأمراض مُرَجَّح وذلك للتساؤل التالي: هناك أشخاص يتأثرون بالسحر الأسود وهناك أشخاص لا يتأثرون به. لماذا؟؟؟؟

نحن لا نعرف كيف يُؤثر السحر الأسود على الإنسان، ولا يوجد أي دليل غيبي يشرح سبب تأثير السحر الأسود على الإنسان. وكل ما نعرفه غيبا أن الشياطين قد علمت الناس السحر الأسود، والدارج والمعتمد في الأفهام أن المقصود بهؤلاء الشياطين هم الجن. ولكن في غير ذلك فنحن لا نعرف كيف يؤثر السحر على الإنسان.

ولكن هناك افتراضات أن السحر الأسود يؤثر من خلال قيام الجن بعمل موجه نحو الإنسان. وهذه الافتراضات قد علمناها من خلال ما ذكره السحرة في كتاباتهم، وما تناقله الناس عبر الأجيال عنهم.

الآن .... لنقل أن الافتراض السابق صحيح. هنا نأتي إلى الأسئلة التالية:

- هل يقوم الجن بالتسلط المستمر على الإنسان، بمعنى أن الجني ينعزل عن رزقه وأهله وحياته، وتكون حياته وشغله الشاغل وهدفه الدائم هو ملازمة المسحور؟ وهذا التفسير يُشبه فكرة تلبس الجن للإنسان.

- أم هل يقوم الجن بالتأثير على أعصاب المسحور ويغير من ترتيبها ويرجع ذلك عنده. وتكون أعراض السحر بسبب تغيير ترتيب الأعصاب؟
- أم أن السحر ليس له علاقة بالجن وأن تأثيره مرتبط بقوانين كونية نجهلها؟

الآن .... إذا اقتنعنا بتفسير الآية "وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" أنها تعني أن نسبة قليلة من البشر هم الذين سيتضررون من السحر الأسود، وإذا اقتنعنا أن كيد الشيطان وسلطانه ضعيف على البشر فإن الاحتمال الأول مستبعد.

ويبقى الاحتمال الثاني والثالث ولا توجد اية معلومات ترجح أحدهما على الآخر ولكننا نستطيع تغليب الاحتمال الثاني على الثالث من باب الاحتياط.

وهنا نرجع إلى السؤال .... لماذا بعض الناس يتأثرون بالسحر والبعض الآخر لا يتأثر؟

والجواب المنطقي على ذلك هو أن مناعة الجسم لبعض الناس أقل من المطلوب ويستطيع الشيطان أن يخترقها ومناعة البعض الآخر أقوى من قدرة الشيطان على التأثير عليها.

ولهذا السبب فإنه بِغَضِّ النظر عن الكيفية التي يؤثر فيها السحر الأسود على الإنسان فإن المشكلة الحقيقية لأعراض السحر نابعة من ضعف في مناعة الجسم.

والشفاء من هذه الأعراض يبدأ كذلك من مناعة الجسم. ولهذا السبب فإن تشبيه أعراض السحر بالمرض هو تشبيه مناسب جدا وله غلبة الظن عند المؤلف.

وإذا سُقْنا هذا التشبيه إلى مداه فإننا نستطيع أن نفترض أن الإنسان إذا شُفي من أعراض السحر فإن جسمه سيبدأ بخلق مناعة أقوى تجاه السحر بالضبط كما هي الحال مع الأمراض الأخرى.

وهنا النقطة .... أعراض السحر (إذا كانت حقا بسبب السحر) هي في الحقيقة حالة مرضية ومعظم أجسام الناس قادرة على معالجة هذه الحالة مع الوقت.

وهنا النقطة ..... السبب الحقيقي لتأثير السحر هي قابلية جسم المسحور للتأثر بهذا السحر، ولهذا السبب فالمشكلة في النهاية خاصة بجَسَد المسحور، والعلاج يبدأ من جسد المسحور. أي أن العلاج للمسحور هو طبي أولا وأخيرا.

ولا مشكلة أبدا من المعالجة بقراءة القرآن، فقد قال اللَّه تعالى: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82 - الإسراء)، وقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57 – يونس)،

وقال تعالى: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44 – فصلت).

والشفاء في الآيات السابقة ليس صريحاً في المعنى (شفاء من ماذا بالضبط؟) ولكنها لفظة عامة، ومن الحكمة القيام بحُسن الأمل والقول والاقتناع أن في القرآن شفاء لما لا نعرف أسراره (كالشرور الناتجة عن السحر)، وهذا اقتناع ينفع وينفع وينفع ولا يضر.

ولكن في النهاية فإن مشكلة المسحور هي مشكلة طبية أولا وأخيرا. وقد قال الرسول عليه السلام: تَدَاوَوْا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ " (رواه أبو داود).

الآن .... كل ما سبق هو استنتاجات منطقية وافتراضات. وحتى تفسير الآية "وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" بأنها تعني أن معظم الناس لن يتضرروا من السحر هو تفسير تم استخراجه بشكل منطقي. فهل هناك أية قرائن أخرى تؤيد هذا المنطق؟؟؟

والجواب هو نعم، توجد قرينة قوية تؤيد هذا المنطق:

فالقرآن لم يذكر السحر الأسود إلا في آيتين وإحداهما عليها تساؤل. والآية الأولى هي آية "وما كفر سليمان"، وكان هدفها (حسب الظاهر) هو تبرئة سيدنا سليمان من اتهامات اليهود.

وبالطبع فقد ذكر القرآن سحرة فرعون ولكن غلبة ظن المؤلف، كما تم نقاشه سابقا، أن هؤلاء السحرة كانوا يستخدمون خفة اليد، حيث إنه من المستبعد أن هؤلاء السحرة قد أثروا على موسى بالسحر الأسود في التو واللحظة، ومستبعد كذلك أنهم سلطوا على عيني موسى شياطين من الجن. والأقرب إلى المنطق أن هؤلاء السحرة كانوا خفيفي اليد. ما زالت مسارح خفيفي اليد إلى يومنا هذا تثير التعجب والانبهار في أنفس الجمهور.

وأما الآية الثانية فهي في سورة الفلق. ومن المناسب شرح هذه السورة:

قال اللَّه تعالى: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ" (5 – الفلق).

الآن ..... الفلق حسب أقوى التفاسير هو الصبح، والدلالة على ذلك فقد قال اللَّه تعالى: "فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" (96 – الأنعام).

وبالتالي يكون المعنى من الآية الأولى والثانية هو: استعذ يا محمد (ويا مسلم) برب الصبح من الشرور الناتجة عن مخلوقاته.

والسؤال الآن .... ما هو الغاسق؟ وما معنى وقب؟؟؟

هناك معانٍ وتفاسير متعددة تتردد في كتب التفسير:

الغاسق هو الليل أو القمر، ووقب الشيء إذا دخل أو إذا غاب.

وبالتالي هناك التفسيرات التالية لهذه الآية:

1. ومن شر الليل إذا أقبل (إذا دخل، إذا أظلم).
2. ومن شر القمر إذا غاب.
3. ومن شر القمر إذا خُسف (أي وقت الخسوف).

والآية الخامسة (ومن شر حاسد إذا حسد) سنناقشها بالتفصيل في الفصل القادم، وأما الآية الرابعة فهي موضوعنا:

والنفاثات (مفردة) هن اللواتي يرقين (من الرقية) حيث كانت الطقوس في الرقية هي الكلمات والنفث، وقد قال عنترة بن شداد:

فإن يبرأ فلم أنفث عليه ... وإن يفقد فحق له الفقود (المرجع: تفسير القرطبي).

وقد روى ابن ماجه عن السيدة عائشة أم المؤمنينَ أن الرسول عليه السلام "كَانَ يَنْفُثُ فِي الرُّقْيَةِ".

وأما عبارة "النفاثات في العقد" فهو وصف للساحرات، لأن النفث في العقد هو أحد أنواع السحر الأسود.

وعليه فإن المعنى من الآية "وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ"، أي من شر الساحرات.

وهنا التساؤل:

لماذا خص القرآن الساحرات بالذكر؟؟؟ ولماذا لم يتم ذكر السحر بشكل عام (أي الاستعاذة من شر السحر). ولماذا لم يتم ذكر السحرة، إذ إن اللفظ المذكر يجمع المذكر والمؤنث معا. فلماذا خص القرآن الساحرات دون السحرة؟؟؟

ولا يوجد وضوح في كتب التفسير عن هذه النقطة، ولا توجد عند المؤلف نظرة واضحة لها.

ولكن الواضح أن هناك آيتين تتحدثان عن السحر الأسود، ولكن لا يوجد في القرآن أي ذكر عن معالجة أعراض السحر، في حين قد ذكر القرآن أن في العسل شفاء، وذكرت السنة النبوية الكثير والكثير من النصائح في التداوي.

وأما في السنة النبوية (وضمن بحث المؤلف) فقد تم التعرض لموضوع علاج السحر مرة واحدة:

ففي رواية البخاري (وغيره): عن سعد بن أبي وقاص قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ : " مَنْ تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ ".

ورواة هذا الحديث ثقات.

ولكن انتبه هنا .... الحديث السابق لا يضع علاجا للسحر وإنما يضع وقاية، وأما العلاج فلا يوجد أي نص ثابت وواضح (ضمن بحث المؤلف) يحدد طريقة علاج أعراض السحر.

وهنا النقطة ..... القرآن والسنة النبوية لم يضعا أي علاجات أو اقتراحات أو خطوط عريضة واضحة لمعالجة أعراض السحر وإنما تم إهمال موضوع السحر تماما.

وهذا الإهمال قرينة قوية للفرضية المقترحة في هذا الفصل، وهو أن السحر الأسود لا يضر إلا قليلاً من البشر، وأن الأجسام قادرة على التعامل معه والشفاء منه.

وهنا من الضروري مناقشة موضوع سحر لبيد بن الأعصم للرسول عليه السلام:

هناك حديث رواه الكثير، منهم البخاري ومسلم وأحمد وهو عن عائشة عليها السلام قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ ، وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا ، ثُمَّ قَالَ : أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ ، فَقَالَ : أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ ، قَالَ : مَطْبُوبٌ ، قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ ، قَالَ : لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ ، قَالَ : فِيمَا ذَا ، قَالَ : فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ : فَأَيْنَ هُوَ ؟ ، قَالَ : فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ : " لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَقُلْتُ : اسْتَخْرَجْتَهُ ، فَقَالَ : لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ، ثُمَّ دُفِنَتِ الْبِئْرُ ".

وجميع الروايات تعتمد على رواية هشام عن أبيه (عروة بن الزبير) عن خالته (عائشة أم المؤمنين). وجميع الرواة هنا ثقات لا لُبْسَ في عدالتهم.

ولكن ..... هذا الحديث تَسَبَّبَ بمشكلة بين المدارس الفقهية:

وضمن المدرسة الأولى فإن هذا الحديث هو خبر آحاد مروي عن سلسلة واحدة فقط ويتعلق بأمر من العقيدة، وهو أن من ضروريات الرسالة وتمثيل السماء أن لا يتعرض أي من رسل الله إلى حالة تؤثر في قواهم العقلية، لأنه إذا كان من الممكن حدوث هذه الحالة فإنه من الممكن التشكيك بأنه قد بَلَّغَ الرسالة ولم يُبلغها. وما سبق كان النظرة الأساسية لهذه المدرسة.

وقد قدمت هذه المدرسة مجموعة من الأدلة تدعم وجهة نظرها، مثال ذلك هو قول اللَّه تعالى: "وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (7) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (8) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا" (9 – الفرقان).

وضمن وجهة نظر المدرسة الأولى فإن ضلال الظالمين في الآيات السابقة يدل أن الرسول لا يمكن أن يصح له أن يكون مسحورا.

للاختصار فإن المدرسة الاولى ترى أنه ليس من الحكمة تعديل أو ترقيع المفاهيم في العقيدة بسبب حديث خبر آحاد (أي حديث مروي بسلسلة واحدة فقط).

وكذلك فإنه ليست هذه هي المرة الاولى التي يتم فيها رد حديث آحاد لثقات؛ فعمار بن ياسر قد روى حديثا في التيمم ولم يقتنع به عمر بن الخطاب. وقد ذكرت فاطمة بنت قيس خبرا عن الرسول عليه السلام فقال عمر بن الخطاب "لا نترك كتاب الله وسنة نبينا صلى اللَّه عليه وسلم لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت" (رواه مسلم).

وأما المدرسة الثانية فنظرتها أن الحديث مروي عن ثقات وأن مفهوم الحديث لا يتعارض مع العقيدة حيث إن تأثير السحر كان مُؤقتا وشفاه الله منه، وأنه حتى في أعراض السحر فإن دعوته وعصمته في تبليغ الرسالة لم تتأثر.

الآن .... ليس هدفنا ترجيح مدرسة على أخرى ولكن هناك نقاط في الحديث نفسه تثير الانتباه:

- الرسول عليه السلام أهمل موضوع السحر ودفن البئر التي فيها أساس السحر.

- الرسـ .ول علي .ه الـ .سلام لـ .م يتعـ .رض للبيـ .د بـ .ن الأعـ .صم وإنمـ .ا أهملـ .ه! انتبه هنا .... إذا كان لبيد بن الأعصم قد نجح في سحر الرسول فهو قادر على سحر غير الرسول وهنا من الطبيعي التساؤل لماذا تركه الرسول مع أن الرسول مـ ثلا قـ د أرسل رجالا لقتل كعب بن الأشرف (وغيره) وذلك لفحش كعب وأذاه على المسلمين.

وهنا القرينة الثانية ..... فحديث عائشة يدل أن الرسول عليه السلام قد أهمل أمر السحر وتركه.

والقرينة الثالثة أن الصحابة قد أهملوا كذلك أمر السحر فلا يوجد أي نص مُثبت يفيد أن الصحابة كانوا يهتمون أو متأثرون بأمر السحر، ولا يوجد أي اتهام من الصحابة أن أحدا سحر أحدا، أو أن أياً منهم قد سُحِر مع كثرة أعداء المسلمين ذلك الوقت، وأول سنة بعد وفاة الرسول عليه السلام كانت حافلة بحالات التمرد لقبائل كثيرة.

وإهمال الرسول عليه السلام لأمر السحر وإهمال الصحابة لأمر السحر قرينتان إضافيتان أن السحر لا يَضر إلا القليل من البشر، وأن الأجسام قادرة على التعامل مع السحر والشفاء منه.

ولكن تبقى أقوى القرائن الموجودة في هذا الفصل هو قول اللَّه تعالى: "وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ".

وتوجد هنا نقطة من الضروري الانتباه لها:

سلطان السحر ضعيف ومؤقت على المسحور، ولكن ضرر السحر على الساحر شديد. فالسحر الأسود لعنة على الساحر في حِله وترحاله، وفي وَعيه ومَنامه. وقد قال اللَّه تعالى: "وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (102 – البقرة).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ الرسول عليه السلام قال: " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ ، قَالَ : الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ" (رواه البخاري).

■ **متافيزيقيا الجماعة والسحر**

لنفترض وجود مجتمع مُوَسْوَس من السحر، أي أن أفراد هذا المجتمع يؤمنون بسلطان السحر وتأثيره الشديد على حياتهم ويتوجسون منه كل التوجس.

ولنفترض أن زيداً في هذا المجتمع لم يكن مسحورا لكن ظهرت عليه أعراض ظن فيها أنه مسحور.

الآن .... هل يستطيع القارئ أن يستنتج كيف ستكون حالة زيد؟

إن تأثير البليسيبو السلبي ودوائر التصديق وميتافيزيقيا العقل وميتافيزيقيا الجماعة (راجع الفصل الثامن) ستجعل هذه الأعراض تزداد قوة إلى قوة إلى الدرجة أن زيداً في النهاية سيصدق تمام الصدق أنه مسحور.

وكذلك فإن ميتافيزيقيا الجماعة ستقوم بتلوين الأحداث لهذا المجتمع بما يتوافق مع قناعات هذا المجتمع بسلطان السحر. وكذلك فإن المؤلف لن يتعجب إذا أدت ميتافيزيقيا الجماعة لخلق أحداث تتوافق تماما مع قناعات هذا المجتمع.

وهذا هو السبب الذي تظهر فيه أعراض السحر (وبشكل ملفت للنظر) في المجتمعات التي تؤمن بسلطان السحر ولا تظهر هذه الأعراض (بنفس الشكل) في المجتمعات التي لا تؤمن بسلطان السحر.

ولهذا السبب فلا يوجد كثير من الانتباه لأعراض السحر في الصين وكثير من المدن الأوروبية والأمريكية، ولكن تظهر أعراض السحر وبوضوح في كثير من المجتمعات العربية.

وهنا نرجع إلى الفرضية الأساس في هذا الفصل ..... السحر حق، ولكن سلطانه ضعيف وتأثيره مؤقت لمعظم البشر، وقد أهمله الرسول عليه السلام وأهمله الصحابة، وكذلك يجب أن نفعل نحن.